

تفسير البحر المحيط

@ 299 @ معهم { أَضَلَّوْنَا } شرعوا لنا الضلال أو جعلونا نضلّ وحملونا عليه ضعفاً رائداً على عذابنا إذ هم كافرون ومسببو كفرنا . .

{ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَآكِن لَّا تَعْلَمُونَ } أي لكلّ من الأخرى والأولى عذاب وللأولى عذاب متضاعف زائد إلى غير نهاية وذلك أنّ العذاب مؤبّد فكل ألم يعقبه آخر ، وقرأ الجمهور بالتاء على الخطاب للسائلين أي { لَا تَعْلَمُونَ } ما لكلّ فريق من العذاب أو لا تعلمون ما لكلّ فريق من العذاب أو لا تعلمون المقادير وصور العذاب قيل أو خطاب لأهل الدّنيا أي ولكن يا أهل الدّنيا لا تعلمون مقدار ذلك ، وقرأ أبو بكر والمفضل عن عاصم بالياء فيحتمل أن يكون إخباراً عن الأمة ويكون الضمير في { لَا تَعْلَمُونَ } عائداً على الأمة الأخيرة التي طلبت أن يضعف العذاب على أولائها ويحتمل أن يكون خبراً عن الطائفتين أي لا يعلم كل فريق قدر ما أعدّ له من العذاب أو قدر ما أعدّ للفريق الآخر من العذاب وروي عن ابن مسعود أن الضّعف هنا الأفاعي والحيات وهذه الجملة ردّ على أولئك السّائلين وعدم إسعاف لما طلبوا . .

{ وَقَالَتْ أُؤَدِّعُهُمْ لَأَخْرَاهُمْ } فَمَا كَانَ لَكُمْ عِلَاقَةٌ مِنْ فَعْلِهِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ } . أي قالت الطائفة المتبوعة للطائفة المتبوعة واللام في { لَاخْرَاهُمْ } لام التبليغ نحو قلت لك اصنع كذا لأن الخطاب هو مع آخرهم بخلاف اللام أي في { لَاؤَدِّعُهُمْ } فإنها كما ذكرنا لام السبب لأنّ الخطاب هناك مع الله تعالى والمعنى أنتم لا فضل لكم علينا ولم تزدجروا حين جاءكم الرّسل والنذر بل دمتم في كفركم وتركتم النّظر فاستوت حالنا وحالكم قال الزمخشري : أي قد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضّعف ، وقال مجاهد : معنى { مِنْ فَعْلِهِ } من التخفيف لما قال الله { لِكُلِّ ضِعْفٌ } قالت الأولى للأخرى لم تبلغوا أملاً بأنّ عذابكم أخفّ من عذابنا ولا فضلتم بالإسعاف انتهى ، والفاء في { فَمَا } قال الزمخشري : عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسّلف { لِكُلِّ ضِعْفٌ } والذي يظهر أنّ المعنى انتفاء كون فضل عليهم من السّلفة في الدّنيا بسبب اتباعهم إياهم وموافقتهم لهم في الكفر أي اتباعكم إيانا وعدم اتباعكم سواء لأنكم كنتم في الدّنيا أقلّ عندنا من أن يكون لكم علينا فضل باتباعكم بل كفرتم اختياراً لا إنزاً حملناكم على ذلك إجباراً وأنّ قوله { فَمَا } معطوف على جملة محذوفة بعد القول دلّ عليها ما سبق من الكلام والتقدير { وَقَالَتْ * أُؤَدِّعُهُمْ لَأَخْرَاهُمْ } ما دعاؤكم الله بأنّ أضللناكم وسؤالكم ما سألتهم فما كان لكم

علينا من فضل بضالكم وأن قوله { فَذُوقُوا الْعَذَابَ } من كلام الأولى خطاباً للأخرى على سبيل التشفي منهم وأنّ ذوق العذاب هو بما كسبت من الآثام لا بسبب دعوكم أنا أضللناكم ، وقيل : { فَذُوقُوا } من خطاب الله لجميعهم . { إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِرِئَاسَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ } قال ابن عباس { لَا تُفَتَّحُ } لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لما يريدون به طاعة الله تعالى أي لا يصعد لهم صالح فتفتح أبواب السماء له وهذا منتزع من قوله { إِنْ يَنْصَرِفْ يُعَادُوا } الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } هـ ومن قوله إن كتاب الأبرار لفي عليين ، وقال السدي وغيره : { لَا تُفَتَّحُ } لأرواحهم وذكروا في صعود الرُّوحين إلى السماء الإذن لروح المؤمن وردّ روح الكافر أحاديث وذلك عند موتها ، وقيل : المعنى { لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ } في القيامة ليدخلوا منها إلى الجنة أي لا يؤذن لهم في الصعود إلى السماء ، وقيل : لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ، وقرأ أبو عمرو { لَا تُفَتَّحُ } بقاء التأنيث والتخفيف ، وقرأ الأخوان بالياء والتخفيف ، وقرأ باقي السبعة بالتاء من أعلى والتشديد . وقرأ أبو البرهسم بالتاء من أعلى مفتوحة والتشديد . .

{ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخَيْطِ } هذا نفي مغيا بمستحيل والولوج التقحّم في الشيء وذكر الجمل لأنه أعظم الحيوان المزاول للإنسان جنّة فلا يلج إلا في باب واسع كما قال ،